المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

دور مدينة زويلة في تجارة الرقيق منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة بني الخطاب. والآثار المترتبة عليها. 22هـ -568 هـ \ 642-1172م

*محمد امحمد أبوغرارة عبد الحفيظ [1].

[1]قسم التاريخ ،كلية التربية زويلة جامعة سبها.

الملخص

تعتبر مدينة زويلة من أهم المدن الليبية في إقليم فزان خلال العصر الوسيط، حيث ارتبطت في نشأتها وتطورها بموقعها الجغرافي المهم. هذا الموقع المتميز أعطاها دوراً حيوياً في حركة التبادل التجاري، وهمزة الوصل بين بلاد السودان ودول الساحل، وزاد من أهميتها وشهرتها باعتبارها إحدى أهم المراكز التجارية في جلب الرقيق من بلاد السودان وتصديره إلى دول العالم الإسلامي. تهدف الدراسة إلى معرفة البدايات الأولى لنشأة وازدهار تجارة الرقيق في المدينة خلال فترة قيد الدراسة .وبفضل استخدام المنهج التاريخي وبعض آلياته من سرد وتحليل واستنتاج ،توصلت الدراسة إلى فك بعض الإشكاليات المطروحة المتعلقة بموضوع الدراسة، ومن خلال الدراسة أيضاً تبين لنا الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتجارة الرقيق على واقع المدينة.

الكلمات المفتاحية: بلاد السودان ؛ بني الخطاب؛تجارة الرقيق؛زويلة؛الأغالبة؛الفاطميون؛فزان.

The role of the city of Zuwayla in the slave trade since the Islamic conquest until the fall of the state of Bani Al-Khattab. And the resulting effects. 22 AH - 568 AH \ 642-1172 AD

*.MOHAMMED AMHImmId ABUGHRARA[1]

[1]History Department, Faculty of Education Zuwayla, University of Sabha, Libya

Abstract

The city of Zuwayla is considered one of the most important Libyan cities in the Fezzan region during the Middle Ages, as it was linked in its emergence and development to its important geographical location. This distinguished location gave it a vital role in the movement of trade exchange, and the link between the countries of Sudan and the Sahel countries, and increased its importance and fame as one of the most important commercial centers in bringing slaves from the countries of Sudan and exporting them to the countries of the Islamic world. The study aims to know the first beginnings of the emergence and prosperity of the slave trade in the city during the period under study. Thanks to the use of the historical method and some of its mechanisms of narration, analysis and conclusion, the study was able to solve some of the problems raised and related to the subject of the study, and through the study it also became clear to us the political, economic and social effects of the slave trade on the reality of the city

Keywords : Africa. Aghlabids. Al-Khattab. Fatimids. Slave Trade. Sudan; Zuwila.

المقدمة

تعد واحة زويلة من أهم الواحات الليبية في إقليم فزان خلال العصر الوسيط، حيث ارتبطت في نشأتها وتطورها بموقعها الجغرافي المهم، هذا الموقع الإستراتيجي المتميز أعطاها دوراً حيوياً متميزاً في حركة التبادل التجاري، وجعل منها

* مؤلف البحث: عناوين البريد الإلكتروني moh.abdulhafith@sebhau.edu.ly

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

همزة وصل بين بلاد السودان ودول الساحل، وزاد من أهميتها وشهرتها أيضاً اعتمادها على السلع المستوردة التي تُجلب إليها من بلاد السودان، حتى اقترن اسمها في بطون المصادر بتجارة الرقيق.

يأتي ذلك منسجماً ومتناغماً مع العديد من النصوص التاريخية، ولعل أهمها رواية البكري التي جاء فيها أنها "مدينة غير مسورة في وسط الصحراء، وهي أول حد بلاد السودان، وبها جامع وحمام وأسواق، يجتمع بها الرفاق من كل جهة، ومنها يفترق قاصدهم، وتتشعب طرقهم..... ويُجلب من زويلة الرقيق إلى ناحية إفريقية"[1].

هذا النص وغيرهِ من النصوص، سوف يشكل مادة دسمة –نستشف من خلالها بالتحليل والتدقيق والتمحيص– في طرح العديد من الإشكاليات التي سيتم الإجابة عنها خلال هذه الورقة البحثية.

إشكالية الدراسة:

الإشكالية الأولى: تنطلق إشكالية البحث الرئيسية من كون المدينة قامت بدور فعال في تجارة الرقيق، وأسهمت عوامل عدة ومتنوعة في تطورها وازدهارها منها أهمية الموقع، وظهور الخوارج الإباضية وسيطرتهم عليها، وقد كان لها دور في انتعاش مختلف نواحي الحياة الزراعية والتجارية والصناعية، حتى اقتران اضمحلال التجارة بشكلٍ عام، وتجارة الرق خاصةً بزوال عاصمة وإمارة بني الخطاب فما حقيقة وعلاقة هذا بذاك؟.

أما الإشكالية الثانية فتتعلق بالتأثير والتأثر، فقد أضحت المدينة خلال الفترة قيد الدراسة ذات مكانة اقتصادية عملت على استقطاب واستجلاب العديد من الأجناس والمذاهب، وبالتالي فإن الإشكالية تتعلق بأثر تجارة الرقيق في التغير الديموغرافي للمنطقة، وهل يمكن الإجابة عنها رغم ندرة المعلومات وشحتها في هذا الخصوص.

فرضية الدراسة:

تنطلق فرضية البحث من أن المدينة زويلة كان لها دور مهم في تجارة الرقيق، فقد أسهمت عدة عوامل في ازدهارها وتطورها، كما كان لها آثار سياسية واقتصادية واجتماعية عليها.

ويكمن سبب اختيار الموضوع وأهميته في كونه يسلط الضوء على الدور الذي قامت به مدينة زويلة في تجارة الرقيق منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة بني الخطاب، فضلا عن إبراز العلاقة بين المتغيرات، لكي نتمكن من فك بعض الشفرات المبهمة من تأريخ المدينة التي لها علاقة بتجارة الرقيق وأثارها.

وتهدف الدراسة للإجابة على بعض التساؤلات الآتية:

–متى تأسست مدينة زويلة؟ وهل كان لتجارة الرقيق دور مهم في تأسيسها؟.

–ما أول الإشارات حول البدايات الأولى لتجارة الرقيق بها؟ وفي إقليم فزان ككل؟ ولماذا انصب اهتمام الدول التي تعاقبت على حكم المدينة بسلعة الرقيق؟ وإلى أي حد انتعشت تجارة الرقيق بها في الفترة ما بين من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، والقرن السادس الهجري/ القرن الثاني عشر الميلادي؟

– هل حققت تجارة الرقيق بها أرباحاً طائلة كما يعتقد بعض الباحثين؟.

– ما أهم الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتجارة الرقيق على مدينة زويلة؟

هذه التساؤلات وغيرها سيتم الإجابة عنها من خلال المنهج التاريخي القائم على جمع المعلومات من مصادرها ومراجعها المختلفة، وستتم دراستها وتحليلها وتمحيصها، بهدف استخلاص النتائج المرجوة منها.

مدينة زويلة نشأتها وتطورها.

نشأة المدينة:

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

ذكرت بعض المصادر التاريخية المطلع عليها أن مدينة زويلة قديمة أزلية[2]، وقد فتح هذا النص الباب أمام العديد من الباحثين للتخمين حول الأسماء التي أُطلقت عليها قبل استعمال اسم زويلة، ولعل أهم تلك الأسماء وفق رأي الزاوي أن الروم كانوا يطلقون عليها شيلالا[3]، وقد فسّر هذا النص بأن المقصود به الروم القاطنين داخل الحصن[4]، وفي هذا الصدد تشير الروايات الشفهية والشواهد الأثرية إلى وجود قلعة، وبقايا حائط ما زالت تُعرف عند سكان المدينة بالقلعة الرومانية، وبحائط أو حيط الروم[5].

وبطبيعة الحال، وما دمنا بصدد مناقشة الأسماء فقد أورد المؤرخ بليني أسماء المدن والقبائل، وذلك خلال حديثه عن حملة كورنيلوس بالبوس* على فزان عام 19ق.م[6]، حيث علق "فهمي خشيم" على ذلك بقوله: من الصعوبة التعرف على أسماء المدن التي أوردها بليني في هذه الحملة عن طريق مقارنتها بأسماء ومدن قائمة حديثة[7]، وفي المقابل ذهب العديد من الباحثين إلى الجزم بأن كليبا أو سيلابا التي ذُكرت عند بليني هي واحة زويلة الحالية[8].

كما تجدر الإشارة إلى وجود تشابه من حيث التركيب اللغوي –النطق والكتابة– بين مصطلح سلابا أوسيليبا الذي أطلق على المدينة، ومصطلح يطلق –في الموروث الشعبي– على أداة لتسلق أشجار النخيل، والتي تعرف أيضا باسم سيليبا – بكسر السين والتشديد على الباء– إضافةً إلى تسمية أشجار النخيل الطويلة الشاهقة المعمرة في الموروث الشعبي بالنخيل الروماني[9].

إن ما سبق يحتم علينا طرح سؤال مهم، يتناول سبب تسمية الروم لها باسم (شيلالا)، دون غيرها من المدن والقرى الجرمنتية، وهل أن نشأتها جاءت بسبب توطيد العلاقات بين الجرمنت والروم، كما تخبرنا بعض المراجع التاريخية؟.

في حقيقة الأمر، يلمس المتمعن بعين البصيرة أن اختيار الموضع ليكون حصن أو مركز تجاري لم يكن وليد الصدفة، كما يعتقد بعض الباحثين[10]، كما يستشف من خلالها المكانة التجارية التي حظيت بها المدينة خلال فترة قيد الدراسة.

تمكنت جرمة خلال العصر الجرمنتي، من بسط سيطرتها على مناطق شاسعة من الصحراء الكبرى، بما فيها الأودية والمواضع الغنية بالمياه، وفرضت سيطرتها على الطرق الصحراوية التي تربط الساحل بجنوب الصحراء، وشيدت فيها الحصون والقلاع والأبراج لتأمين سلامة القوافل التجارية، وقد أدى ذلك إلى قيام المراكز التجارية بجوار الحصون والمراكز والقلاع، ومن تم نشأت حولها تجمعات بشرية، أصبحت اللبنة الأولى في نشأة الواحات والمدن، وعززت من أهميتها وتطورها بتحسن العلاقات التجارية بين جرمة والإمبراطورية الرومانية[11].

أما داخل الإمبراطورية الرومانية وتحديداً في المدن الساحلية، فقد شهدت اضطرابات بين الحين والآخر ضد قبائل البربر، واستمرت تلك اصطدامات إلى عهد الإمبراطورية البيزنطية، الأمر الذي أدى إلى انسحاب تلك القبائل وتوغلها باتجاه الأراضي الجرمنتية، متخذة من تلك الحصون والمراكز التجارية أو بالقرب منها، مقراً جديداً لإقامتهم، ولعل من بين تلك القبائل قبيلة هوارة*وقبيلة بني زويلة التي تُنسب تارة إلى مزاتة** وتارة أخرى إلى لواتة*** وفق روايات المؤرخين[12]، فقصدت حصن شيلالا، وما لبثت أن استجمعت قواها وخاضت حرباً جديدة ضد الجرمنت وصفت من قبل اليعقوبي بحرب لاقح[13]، التي انتهت باضمحلال مدينة جرمة، وبروز مدينة أخرى على مسرح الأحداث عُرفت خلال الفتح الإسلامي باسم زويلة[14].

إن هذا الطرح يتعارض مع الرأي القائل أن سليبا هي واحة زويلة الحالية، وعلى الرغم من أهمية الفرضية أو النتيجة التي توصل إليها هؤلاء الباحثين، إلا أنه يكتنفها الغموض والاضطراب، مما يدفعنا للقول بأن المدينة التي قصدها بليني هي وادي أو جبل بن غنيمة، الذي يبعد عن موضع زويلة قرابة 75 كم، لاسيّما أن هذا الجبل يحمل العديد من النقوش

والرسومات الصخرية المرتبطة بتاريخ الحضارة الليبية القديمة،تجسد قدم هذا الموضع عن غيره من المدن المجاورة، بما فيها شيلالا أو زويلة.

معنى ومدلول التسمية زويلة:

تكاد تتفق المصادر التاريخية التي طرقت هذا الجانب إلى أصل تسميتها بأنها نسبت إلى جدهم الأول زويلة بن قيدار بن إسماعيل، وتعد إحدى قبائل البربر[15]، أما فيما يخص كتب الرحالة الغربيين، فقد أخبرنا هورنمان على لسان أحد الأعيان، أن "زويلة كانت مقراً للسلطان وملتقى للقوافل، والى الآن ما زالت تسمى الرحلات إلى فزان برحلات إلى سيلة"[16]، فيما ذكر فيشر أن الأفارقة يسمونها زيلا (Zela)[17]، وهذين المصطلحين في حقيقة الأمر على نفس الوزن، مما يمكن لنا طرح فرضية التحريف الذي مس الكلمة، فانتقلت على أثرها من شيلالا إلى سيلة وزيلا، وانتهى بها الحال بمجيء الفاتحين، فصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين، فعرفت منذ ذلك الحين، وبإجماع المصادر التاريخية بهذا الاسم[18].

وتأسيساً على ذلك، يمكن القول بأن الاسم الحالي لهذه المدينة، ربما قد جاء تطوراً مرحلياً لأسمائها المختلفة، أو جاء نسبةً إلى قبيلة زويلة، وهي إحدى قبائل البربر، أو ربما كان تصغيراً لمدينة زلة عاصمة هوارة القديمة[19]، أو لعله أُشتق من لفظ الزوايل، وهي جمع القلة من قطيع الإبل التي كانت مشهورة باقتنائها وتواجدها بها[20].،

وفي هذا يرى محمد أيوبان استعمال الإبل محل الخيل والحمير في غزو الصحراء، ساعد على اضمحلال مدن قديمة مثل مدينة شربة*، ونتج عنه نشأة مدن جديدة كمدينة زويلة[21].

لقد تعددت واختلفت الآراء حول نشأة وتأسيس المدينة، ويرجع ذلك صمت المصادر التاريخية حول هذا الموضوع، ولكن الذي لا يختلف عليه اثنان أن المدينة نشأت نتيجة أسباب تجارية وأمنية بحتة، كما نلخص أيضا، وكما سبقت الإشارة إليه أن نشأتها بدأت كحصن في زمن الجرمنت، ثم تطورت وازدهرت بسبب تحسن العلاقات بين الجرمنت والروم، وقد أسفر ضعف جرمة في تمكن قبيلة مزاتة أو لواته، ثم الإمبراطورية البيزنطية بعد ذلك من اقتطاع أجزاء من أراضيها، فكيف يمكن لنا تفسير ما توصلت إليه الحفريات الأثرية عن وجود مقابر بيزنطية في المدينة، والتي تبرهن عن استيطان البيزنطيين لهذه الرقعة من هذه الأرض؟.

نبذة تاريخية وجغرافية عن مدينة زويلة:

فتحت المدينة صلحاً على غرار برقة عام 21-22هـ/ 642-643م، وذلك في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وجاء الفتح على يد القائد عقبة بن نافع[22]، ثم استعمل عليها بعض عماله لتدبير شؤونها، واتخذها إلى عام 50 هـ/ 670م مقراً لإقامته، وبث منها سراياه إلى بقية النواحي والواحات[23].

أجمعت المصادر التاريخية المطلع عليها عن السرعة والسهولة في عملية الفتح، وأن الحملة لم تجد أي مقاومة تذكر[24]، وهذا يفند الرأي القائل بأن الأضرحة أو القبور السبعة بمدينة زويلة هي لأولئك الذين استشهدوا خلال حملة الفتح، وفي السياق نفسه من المستبعد القبول بما تبنته بعض الدراسات الحديثة التي استقت معلوماتها من الروايات المحلية، والتي تعتقد أن كلاً من معبد بن العباس*وأبو ذؤيب الهذلي** وغيرهم، قد استشهدوا ودفنوا في مدينة زويلة أثناء غزوة الغنائم أو العبادلة التي وقعت أحداثها عام 27 هـ/ 648م، أو خلال حملة عبد الله بن أبي السرح الثانية عام33هـ/

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

654م[25]، ويرجع السبب في استبعاد هذا الرأي كونه لا يستند على فرضية منطقية، وحجتنا في الرد عليها تكمن في النقاط الآتية:

1 –الهدف الرئيسي من الغزوة –بإجماع المصادر – فتح إفريقية(تونس حالياً).

2 – خط سير الغزوة – حسب المصادر – مصر –برقة – إجدابيا– سرت – طرابلس –إفريقية، وهي الطريق نفسها التي سلكها الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ***من إفريقية إلى مصر، وبالتالي المناطق الصحراوية بعيدة كل البعد عن بؤر الاصطدام والاشتباك، فضلا عن تواجد سرية عقبة وتأمينها للمنطقة الواقعة بين برقة وزويلة، وبالتالي يكون قد التحاق من برقة بجيش عبد الله بن أبي السرح القادم من مصر[26].

3 –استشهاد هؤلاء الصفوة من القادة بالمدينة، يعني لنا ضمنياً أن السرية أُبيدت عن بكرة أبيها هذا من جهة، ومن جهة أخرى تعطي لنا الرواية تصوراً على قيام حرب ضروس، فيما المدينة لم تنقض عهدها خلافاً لمدينة ودان التي نقضت عهدها بعد مقتل الخليفة عثمان[27].

4 –إجماع المصادر وكتب التراجم المطلع عليها على وفاتهم في إفريقية[28].

5–رجح العديد من الباحثين فرضية أن تكون تلك الأضرحة لملوك أسرة بني الخطاب، وربما من بينهم الإباضيون الذين قتلوا أثناء حملة القائد العباسي أسامة ابن عكرمة عام 145هـ/762م، وعلى رأسهم عبد الله الإباضي، بحكم أن المدينة إباضية المذهب من جهة، وتعصب رجالات المذهب لمذهبهم وملوكهم وعلمائهم من جهة أخرى[29].

5 – صمت ابن حوقل رغم صولاته وجولاته في المنطقة زمن دولة بني الخطاب عن الخوض في الأمر يقودنا إلى نفس النتيجة، إلا إذا كانت قد شُيدت في زمن قراقوش الأرمني*الذي وُصف بالمخرب حسب بعض المصادر والمراجع التاريخية، وهذا لا يعني بالضرورة أن الأضرحة هي لقادة ورجالات قراقوش الأرمني، بقدر ما يعني أن تشيدّها– بعد سقوط الدولة –قد يكون بيد سكان المدينة تمجيداً وتخليداً لملوك بني الخطاب الذين قتل أخر ملوكهم، وأمام أعينهم على يد قراقوش الأرمني568هـ/ 1172م[30].

من المفيد القول، إن الأضرحة التي اتسمت ملامحها بالضخامة والتقديس والتبجيل، ما هي إلا نصب تذكارية لما يقابلها من كثرة القبور والمقابر الجماعية التي انتشرت في المدينة التي تم اكتشافها بسبب العوامل الطبيعية أو عن طريق أعمال الحفر والبناء، ويُعتقد أن من بين تلك القبور ضحايا الرق وتجارة الرقيق التي اشتهرت بها المدينة خلال فترة قيد الدراسة.

على أية حال، ظلت المدينة مقاماً للولاة على عهد الدولة الأموية، وهو ما أورده ابن الأثير في حوادث 50هـ/ 670م[31]، وأكده الذهبي عندما تحدث عن تعيين حجاج بن عبد الله الرعيني إمرة بلاد زويلة،والذي عُرف برواية الحديث[32].

وفي عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، تم إرسال أول بعثة ثقافية، تضم عشرة من التابعين، من بينهم مبعوث زويلة حبان بن أبي جبلة القرشي*، الذي اختلفت الروايات حول مكان وفاته، والأرجح أنه توفي في القيروان[33].

وفي حقيقة الأمر، لم يكن الغرض من البعثة تعليم أهل المغرب أصول دينهم، كما ذهبت إلى ذلك العديد من المصادر والمراجع التاريخية المطلع عليها، بقدر ما خُصت أيضاً–تلك البعثة الأموية– لصد فكر الخوارج، الذي تزامن مع دعوة سلمة بن سعيد**في نشر الإباضية في المغرب الأدنى الذي يتضح جليا بانتشار المذهب واعتناقه من قبل سكان زويلة خلال النصف الأول من القرن الثاني الهجري|الثامن الميلادي[34].

وخلال العصر العباسي الأول، خرجت بلاد الأندلس وأجزاء من بلاد المغرب عن كنف الدولة العباسية؛ مما حذا بالخليفة أبي جعفر المنصور عام 144هـ/761م، إلى إرسال حملة عسكرية صوب طرابلس بقيادة محمد بن الأشعث،

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

نجحت في القضاء على حركة الخوارج، وقتل زعيمها أبي الخطاب المعافري، ثم جهز ابن الأشعث حملة عسكرية أخرى عام 145هـ/762م بقيادة إسماعيل بن عكرمة للتتبع واستئصال شأفة الإباضية، حيث تمكنت من دخول مدينة زويلة وقتل زعيم الإباضية عبد الله بن حيان الإباضي[35].

وعلى إثر ذلك، خضعت بلاد المغرب الأدنى للخلافة العباسية، وخصوصاً في فترة حكم أسرة آل المهلب، حيث نجح ولاة هذه الأسرة على رأسهم الوالي يزيد بن حاتم المهلبي155-170هـ/771-787م في إخماد ثورات الخوارج من جهة، ومن جهة أخرى اهتم بالجوانب العمرانية للمدن التابعة له، عن طريق بناء المساجد والأسواق والحمامات[36]، ولا نستثني زويلة من ذلك، وان استثنتها المصادر التاريخية التي بين أيدينا.

وفي زمن دولة الاغالبة 184-297هـ/800-910م التابعة اسمياً للخلافة العباسية، تنازل – بموجب معاهدة – الأمير إبراهيم بن الأغلب لعبد الوهاب بن رستم عن أجزاء من إقليم طرابلس، أصبحت بموجبها سرت وجبل نفوسة وفزان رسمياً تابعة للدولة الرستمية عام 196هـ/812م[37]، مستفيداً هذا الأخير من حدثين مهمين الأول: وفاة عبد الله بن الأغلب[38]، والثاني: الحرب الأهلية التي دارت رحاها بين الأخوين الأمين والمأمون أبناء هارون الرشيد[39].

وبسبب الفراغ الذي أحدثته سقوط الدولتين الأغلبية والرستمية على يد الدولة الفاطمية من ناحية، وتأصل الفكر الإباضي في مدينة تتميز ببعدها عن بؤر الصراع، ومن ناحية أخرى كان من الطبيعي جداً قيام إمارة إباضية مستقلة على يد أسرة بني الخطاب وذلك في الفترة ما بين 306-568هـ|918-1172م[40]، التي ترجع أصولها إلى قبائل هوارة الوافدة من إقليم برقة وفق ما أورده ابن خلدون[41]، سرعان ما دخلت تحت جناح وحماية الدولة العبيدية (الفاطمية) بإفريقية[42].

والجدير بالذكر، أن الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي شرع في بناء مدينة جديدة بجوار مدينته المهدية، أطلق عليها اسم زويلة، ولهذا نلاحظ أن مؤرخي القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وما بعده، يميزون زويلة المهدية عن زويلة بني الخطاب وبلاد السودان[43].

وهذا في واقع الأمر، يقودنا إلى القول، إن مدينة زويلة تأثرت في نشأتها وتطورها وشهرتها أيضا بأهمية موقعها وقربها من بلاد السودان –مصدر الرقيق– كما تشير أغلب المصادر الجغرافية المطلع عليها؛ فهي تقع في الجنوب الغربي من ليبيا ضمن إقليم فزان، فقد قال عنها اليعقوبي"وراء ذلك بلد زويلة، وهم قوم مسلمون إباضية...يُخرجون الرقيق السودان من الميريين والزغاويين وغيرهم من أجناس السودان لقربهم منهم"[44]، ووصفها البكري بأنها"مدينة غير مسورة في وسط الصحراء، وهي أول حد بلاد السودان، وبها جامع وحمام وأسواق، يجتمع بها الرفاق من كل جهة، ومنها يفترق قاصدهم وتتشعب طرقهم...ويُجلب من زويلة الرقيق إلى ناحية إفريقية"[45]، وأكد صاحب كتاب الاستبصار على جلب الرقيق من بلاد السودان إلى زويلة، ومنها يخرج إلى بلاد إفريقية وغيرها[46].

وبطبيعة الحال، يُستشف من خلال المعلومات الواردة في تلك النصوص، أن المدينة قامت دور الوسيط في عملية التبادل التجاري بين بلاد السودان ودول المغرب والمشرق، وخصوصا تجارة الرقيق خلال العصر الوسيط.

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الموضوع، هل اقتصرت تجارة المدينة في جلب السلع والبضائع المستوردة على سلعة الرقيق؟ أم شملت تنوعاً في السلع المتبادلة والأنشطة الاقتصادية، كما تخبرنا بعض المصادر والمراجع التاريخية الأخرى؟.

أورد بحّاز إبراهيم، أنه بجانب سلعة الرقيق، وُجدت تجارة الذهب، التي تم احتكار تجارتهما من طرف الخوارج، حتى أُطلق عليها التجارة الخوارجية[47]، حيث يتم استبدالهما في أغلب الأحيان بالمقايضة بالسلع القادمة من بلاد المشرق، أو بالصناعات المحلية كثياب قصار الحمر، والجلود الزويلية التي داع صيتها في أسواق غانا[48].

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

ونظرا لتوفر معدن الذهب الذي يجلب من أسواق غانا، سُك في مدينة زويلة دينار من الذهب عام 414هـ|1023م، باسم الخليفة الفاطمي الظاهر بأمر الله، دون وجود أي إشارة على الدينار لملوك بني الخطاب، سواءً على الطوق الداخلي أو الخارجي للعملة؛ مما دعا لبعض الباحثين إلى التشكيك والتأكيد في كونها سكت في مدينة زويلة المهدية، مبرراً ذلك بالعداء المذهبي بين الشيعة والإباضية[49]، متناسياً الإشارات التي وردت في بعض الروايات عن كون المدينة كانت مقصداً للشعراء والعلماء من مختلف الفرق والمذاهب[50].

إضافة إلى ما سبق، فإن المتمعن في كتب التاريخ، يجد أن العالم الإسلامي آنذاك، والدويلات شبه المستقلة كدولة بني الخطاب مثلاً، أضحت أمام خيارين، الأول منهما: الولاء للأسرة البويهية المهيمنة على مقاليد الحكم العباسي في بغداد 334-447هـ/946-1055م، والثاني: التبعية للخلافة الفاطمية التي حكمت مصر والشام والمغرب الأدنى، ويأتي هذا متناغماً مع قول لومبارد"أن تاريخ أفريقيا الشمالية، وتاريخ الدول التي قامت بها، كان يدور حول سيطرة الدول على المحطات التي تقصدها القوافل"[51]، فكان من الدهاء إعلان الولاء، وإن كان تجسيدها يتم بالإشارة إليها بالكتابة على طوق الدينار، كما يُعتقد أن الخلافة الفاطمية أشرفت بنفسها، ونوعت في سك عملاتها في عدة مدن مختلفة تابعة لها، ومن بينها مدينة زويلة بني الخطاب.

يبدو واضحاً أن اتخاذ المدينة عاصمة للدولة بني الخطاب، جاء نتاجاً لأهميتها التجارية، هذا ما نوهت إليه العديد المصادر والمراجع التاريخية المطلع عليها، حيث شكلت التجارة عموماً، وسلعة الرقيق خصوصاً العصب الاقتصادي المهم للمدينة، لما تدره من أرباح طائلة، انعكست بشكل كبير على مختلف نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، إنما السؤال الذي يتبادر إلى الذهن، ماهي أول البدايات حول نشأة تجارة الرقيق في المدينة؟ وهل يمكن اعتبارها وليدة الفتوحات الإسلامية؟ أم أنها كانت رائجة وذات مردود اقتصادي قبل الفتح الإسلامي؟، وإلى أي حد يمكن التسليم بأن نشأة المدينة أو تطورها كان قد خرج من رحم تجارة الرقيق؟هذه الأسئلة وغيرها سوف نجيب عنها الصفحات القادمة.

مدينة زويلة وتجارة الرقيق من النشأة إلى الإنهاء 22هـ-568هـ/ 642-1172م:

بادي ذي بدء، تعود نشأة ظاهرة الرق إلى عهود موغلة في التاريخ، فقد أباحت الديانات القديمة الرق، واستعباد الإنسان لأخيه الإنسان، كاليهودية والمسيحية، وحتى العرب في جاهليتهم كانوا يتاجرون بها، خلافاً للدين الإسلامي الذي كان "منذ بداية ظهوره يدعو إلى تحرير الرقبة وعتق الرقاب، وقد جعل ثواب ذلك عظيماً عند الله عز وجل"[52].

كما مارست الحضارات الإنسانية القديمة الرق بشتى أشكاله وألوانه، في حضارات وادي الرافدين،والحضارة الفينيقية والإغريقية والقرطاجية والرومانية والجرمنتية، وعلل وجود الرق عند تلك الحضارات بأنه جاء نتيجة"اكتشف الإنسان نمطاً اقتصادياً جديداً، عماده الاستقرار بالأرض وتعميرها بالزراعة وتشييد البنيان"[53].

وبناءً على ما تقدم، فقد عثرت الحفريات الأثرية للحضارة القرطاجية عن جماجم زنجية ترجع لحركة التبادل التجاري لتجارة الرق، التي كانت تمارسها قرطاجة مع الجرمنت[54]، كما ذهب بعض المؤرخين إلى ممارسة الجرمنت تجارة الرقيق مع الحضارات الأخرى المطلة على الساحل، استناداً إلى ما ذكره هيردوت،وأن الجرمنتيين كانوا يطاردون الأثيوبيين بعربات ذات الخيول الأربعة[55]، ومن الطبيعي استمرار نشاط حركة التبادل التجاري بين الجرمنت والروم، حيث حاول الروم خلق علاقات من شأنها التوغل باتجاه بلاد السودان مصدر الرقيق.

وتجدر الإشارة- حسب علم الباحث – إلى أن روما لم تكن لها مطامع في الأراضي الجرمنتية، فقد كانت الحملات التي تشنها ناتجة عن دعم الجرمنت لثورات البربر المناهضة للحكم الروماني[56]، أو بمعنى أصح تختزل مطامعها في وجود ممر تجاري تستطيع من خلاله استيراد وتصدير بضائعها من وإلى أفريقيا.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

ولأجل لذلك، ومع مرور الوقت، استحدثت الطرق والحصون والقصور، بهدف تأمين رق التجارة مع الجرمنت، ولعل من بين الحصون موضع زويلة اليوم الذي على ما يبدو كان منذ البدء متخصصاً، وقائماً كأحد المراكز الرئيسية المهمة فيجلب ويتبادل السلعة المستوردة، على رأسها الرقيق من بلاد أفريقيا أو السودان لقربها منه[57].

تأكد ذلك خلال سير الفتح، فقد كان السبي والعبيد من ضمن الغنائم التي غنمها المسلمون من إقليم فزان، فيذكر ابن عبد الحكم أن بسر بن أبي أرطاة، وعقبة بن نافع عندما فتحا مدينتي ودان وجرمة، فرضا على كل منهما ثلاثمائة وستين عبداً[58]، كما اتخذ عقبة من مدينة زويلة مقراً، ومنطلقاً للفتوحات نحو بلاد ما وراء فزان وإقليم كوار[59].

ويرى جاك تيري في هذا الصدد، أنفتح عقبة بن نافع لإقليم كوار قد فتح الطريق لإحياء تجارة الرقيق، التي كانت سائدة منذ زمن الجرمنت[60]، وهذا ما نستشفه من بعض الروايات التاريخية، التي أشارت إلى الدور الكبير لمدينة زويلة في تجارة الرقيق، حيث أفاد كلا من اليعقوبي والبكري على جلب الرقيق من بلاد السودان إلى زويلة، ومنها يخرج إلى كافة البلاد الإسلامية[61]، حتى التصق اسمها تارة بالرقيق، وتارة بزويلة السودان خلال العصر الوسيط[62].

وهذا بطبيعة الحال، يجرنا للحديث عن دور الولاة أو المدينة في تجارة الرقيق، ولماذا اتخذها عقبة والولاة الذين جاءوا من بعده – سواء في عهد الدولة الأموية والعباسية – مقراً وقاعدة في تدبير شؤون المدينة والإقليم؟،هل لموقعها المتاخم لبلاد السودان، كما ذكرت المصادر الجغرافية دور في ذلك؟ أم أن ذلك كان نتيجة السمات والخصائص تمتعت بها المدينة؟ وهل مرت مصادر جلب الرقيق بمرحلتين مهمتين، منها ما أُطلق عليه برقيق أو سبي الفتح؟ وما الدور الذي قامت به المدينة في هذه المرحلة التي يمكن تسميتها فترة عهد الولاة؟ وهو الذي سنناقشه في المطلب القادم.

دور مدينة زويلة في تجارة الرقيق من 22هـ–184هـ (رقيق الفتوحات):

إن المتمعن في النص الذي أورده البلاذري، والمتعلق بسير الفتح "فبلغ زويلة وأن ما بين زويلة وبرقة سلم كلهم"[63]، ويلحظ أولا:تجاهل النص لذكر المدن الواقعة بين برقة وزويلة، أو الواقعة على وجه الخصوص في إطار إقليم فزان، وثانيا: يعد هذا النص إعلان أو خطاب رسمي في قيام إمارة إسلامية في إقليم فزان قاعدة حكمها مدينة زويلة، لتحل محل مدينة جرمة التي بهت بريقها وتلاشى ذكرها منذ ذلك الإعلان، وثالثا:تبين مما لا يدع مجالاً للشك أن هناك مدن وقصور فتحت قبيل مدينة زويلة، وبُنيت فيها المساجد وما إلى ذلك، كمدينتي مستيح وتمسى، اللتين وردً ذكرهما عند ابن حوقل والبكري، والتي يرى أحد الباحثين وفق خريطة أعدها ورسمها، مرور جيش عقبة بتلك المدن، وهو في طريقه إلى زويلة[64].

مرة أخرى، نشير إلى إن تجاهل المصادر وصمتها له ما يبرره،حيث يُستشف من رواية ابن عبد الحكم، عند حديثه عن الحملة التأديبية التي قام بها عقبة على مدينتي ودان وجرمة عام 46هـ /666م، وقصبة كوار أيضاً[65]، تكراره لسؤال ما ورائكم؟ بعد فتح كل مدينة أو قصر[66]، مما يدفعنا إلى القول بأن جيش عقبة، أو عقبة نفسه، لم تكن لهم دراية ومعرفة تامة بالمدن والقصور في إقليم فزان، وهو ما تؤكده رواية ابن عبد الحكم نفسها "فسألهم:–أي أهالي أحد قصور كوار–هل من ورائكم أحد؟ فقال الدليل:ليس عندي بذلك معرفة ولا دلالة، فانصرف عقبة راجعاً إلى زويلة "[67]، بعد أن غزا في طريق عودته خاوار،"فاستباح ما في المدينة من ذرياتهم وأموالهم وقتل مقاتلتهم"[68].

عاد جيش عقبة إلى قاعدة الحكم زويلة، بعد سلسلة من الفتوحات المهمة والكبيرة، تمكن فيها من فرض ضريبة تقدر ثلاثمائة وستون عبداً على معظم المدن المفتوحة، مما أثار تساؤلاً في ذهن الباحث، أجابت عن شطره الأول بعض الدارسات الحديثة، التي رأت أن السبب من وراء دفع ضريبة رأس "أن فزان تعتبر باب السودان من حيث يجلب الرقيق"[69]، وتشاطره في الرأي دراسة أخرى التي تعتقد أن"فزان وودان كانتا بوابتي بلاد الصحراء وموردين مهمين للعبيد"[70]، بينما يضيف باحث ثالث سبباً آخر، حيث يعتقد أن السبب يرجع إلى تجنيدهم في دعم عملياته العسكرية[71]، أما الشطر الأخر

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

من التساؤل؛ فيرى سعد زغلول نقلاً عن ابن عبد الحكم أن المغانم سواء كانت سبي أو عبيد أو أموال، قد بلغت من الكثرة درجة جعلت عقبة يرسلها إلى المشرق[72].

من المؤكد، أن تلك الغنائم بما فيها ضريبة الرأس، قد انتهى بها الحال إلى مدينة الفسطاط بمصر، وهو ما أكدته أيضا رواية للبلاذري[73]، فإن صح ذلك فإن مدينة زويلة قامت بدور المحور الأساسي كمحطة أو سوق،تنطلق منه الغنائم نحو مدينة الفسطاط، كما أن المتمعن جيداً في النص الذي أورده ابن عبد الحكم، سيجد الإجابة في نص قصير،جاء فيه"انصرف راجعا إلى زويلة "[74]، وساعدها على القيام بهذا الدور موقعها المتميز المتاخم لبلاد السودان الذي يمكن وصفه كنقطة تقاطعية في طريق القوافل التجارية المتجهة نحو مختلف الاتجاهات، وفي هذا يقول جاك تيري إنه "من الواضح أن زويلة لم تكن تمثل هدفاً في حد ذاتها، ولكنها لم تكن إلا محطة نحو الهدف النهائي السودان"[75]، وبذلك بات وصفها بالسوق الكبير للعبيد، فضلاً عن تموضعها في وسط الصحراء كثيرة النخل والزرع، وأهلها يسقى من الآبار[76]، ولا يخفى علينا دور الإدلاء، وهم سكانها البربر الذين تميزوا واختصوا بكسب الزوايل[77]، وكانت لهم بصمة في تطور تجارة الرق، خصوصا بعد تفاعلها باعتناقها للمذهب الإباضي جميعها– وفق رأي الباحث– دفعت بعقبة بن نافع والولاة الذين جاءوا من بعده،إلى جعلها حاضرة وقاعدة لإقليم فزان[78]، وهو ما سيتضح من خلال البحث.

وتماشياً مع ما تم ذكره، فقد ذكرت المصادر التاريخية تبعية المدينة لمصر طيلة الفترة الممتدة ما بين 22–84 هـ/ 642–703م، وقد اتضحت في صورة دفع الضرائب أو تعين الولاة، فإنه في المقابل، شهد الطريق الرابط زويلة، برقة،الفسطاط، نشاطاً كبيراً وفاعلاً، حيث نوهت بعض الدراسات الحديثة عن بناءً أو لسوق للرقيق في مدينة الفسطاط في عهد واليها عمرو بن العاص أُطلق عليه سوق البركة[79]، أو ربما اتسعت بعد ذلك بضائع زويلة من الرقيق حتى وصلت أسواق الحجاز، كما يعتقد أحد الباحثين، الذي يرى أن الشاعر الأموي نصيب أبو محجن*،كان من رقيق واحة ودان بفزان، اشتراه عبد العزيز بن مروان من الحجاز[80]، لكن عند تتبعنا للمصادر الأولية، تأكد أن المقصود بواحة ودان التي وردت في المصادر التي استقى منها معلوماته، هي أحدى أسواق ومدن بلاد الحجاز[81]، ويمكن القول هنا أنه قد حمّل النص ما ليس فيه.

ويعزز رواج تجارة الرقيق خلال العهدين الراشدي والأموي، رواية توغل عقبة بن نافع واستقراره مدة طويلة في بلاد السودان قبل ولايته الأولى على إفريقية 50هـ/ 670م، وهذا السودان هو الذي قال فيه اليعقوبي،أن ملوكهم يبيعون السود من غير شي ولا حرب[82]، إضافة إلى ذلك يمكن أن يكون ذلك تفسير للرواية القائلة بأن عقبة وجيشه، ظل يتنقل ما بين زويلة وبرقة لأكثر من عشرين سنة[83]، تحت مسمى حماية وتأمين طرق التجارة.

واللافت للنظر وباستمرار، أنه بعد استكمال مراحل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب على يد حسان بن النعمان وموسى بن نصير، انتزعت إفريقية مكانتها كولاية مستقلة تابعة للخليفة الأموي نفسه، بعد أن كانت إقليم تابع لمصر، حيث شملت إقليمي طرابلس وفزان،وعُرفت بولاية إفريقية خالصة[84]، هذا ما تؤكده الهدايا التي أرسلها الوالي إفريقية عبيدة بن عبد الرحمن القيسي إلى الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك عام 124هـ/742م، والتي من بينها عشرين ألف عبد[85].

تلك الخطوة تلتها خطوات وأحداث، أفضت في نهاية الأمر إلى قيام دول مستقلة في بلاد المغرب الأدنى، وكانت أول مؤشراته ما أورده المراكشي في كتابه البيان:أن الوالي العباسي لإفريقية عبد الرحمن بن حبيب رفض إرسال السبايا للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، عما كان عليه الفاتحين والولاة من قبله[86]، هذه الحادثة وغيرها على ما يبدو، أعطت للخليفة وللخلفاء الذين جاءوا من بعده إنذاراً للبحث عن مصادر وروافد جديدة للرقيق، وخصوصاً أن الدولة العباسية شهدت نهضة عمرانية،وتطوراً اقتصادياً في مختلف المجالات، كانت دائما بحاجة متزايدة إلى طلب المزيد من العبيد،يأتي ذلك

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

منسجماً مع رأي توفيق بن عامر الذي يرى أن إقبال المسلمين في جلب الرقيق من بلاد السودان عن طريق مصر وإفريقية كان منذ أواسط القرن الثاني للهجري/ القرن الثامن الميلادي.

أصبح لتجارة الرقيق رواج كبيراً مع القرنين الثالث والرابع الهجريين/ القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، وذلك "عندما سينضب رقيق الفتح بصورة تكاد تكون نهايته، وسيصبح جلب الرقيق،عن طريق التجارة الحل الأمثل لتزويد العالم الإسلامي بهذه البضاعة "[87].

دور مدينة زويلة في تجارة الرقيق منذ قيام الدول المستقلة حتى سقوط أسرة بني الخطاب:

أن تخلي العباسيون عن سياسة الفتوحات كمصدر أساسي لخزانة الدولة، والذي أملته عليهم ظروف معينة، وهي التي دفعت الخلافة العباسية لإيجاد صيغة جديدة،مفادها إقامة اقتصاد سلم محل اقتصاد حرب[88]،فأولت الزراعة والصناعة عناية كبيرة، حتى شهدت نهضة زراعية وصناعية بلغت الذروة خلال عصرها الأول والثاني[89]، كما اهتمت بالتجارة، وشجعت التجار على قيام برحلات وصلات تجارية مع مختلف المدن والأمصار[90]، تلك الإصلاحات، انعكست–إيجابا وسلباً –على المجتمع العباسي، وأدت إلى بروز فئة كبيرة سرعان ما أحدثت هزة في تاريخ الدولة العباسية، والتي أُطلق عليها في كتب التاريخ، ثورة الزنج أو العبيد 255هـ–270هـ/ 869–883م[91]، هذه الفئة أو اليد العاملة التي تم جلبها من مختلف المراكز وأسواق الرقيق–كسوق زويلة مثلا–تعددت وتنوعت استخداماتهم بشكل كبير ولافت، ليس في بلاد المشرق وحسب، بل في بلاد المغرب والأندلس أيضاً، لدرجة شاع فيها بين بعض المؤرخين والباحثين، مصطلح الجيش الزويلي، والعبيد الزويليين كأحد الركائز الأساسية في جيش الأغالبة والفاطميين[92].

من نافلة القول، إن من أهم مراكز تصدير الرقيق إلى إفريقية (القيروان) وغيرها من البلدان الأخرى خلال الفترة قيد الدراسة مدينة زويلة، وهو ما أكدته العديد المصادر والمراجع التاريخية المطلع عليها[93].

ويبدو واضحاً أن سلعة الرقيق كانت أساس النشاط الاقتصادي للمدينة، وفق ما صورته لنا المصادر والمراجع التاريخية المطلع عليها، ولعل سلعة الرق هي التي جذبت التجار،ونبهت الدول إلى أهمية المدينة، الأمر الذي حذا بالخليفة أبي جعفر المنصور إلى إرسال حملة عسكرية باتجاه إفريقية144هـ/ 761م بقيادة محمد بن الأشعث، والتي نجحت في إخماد حركة الخوارج، ومقتل قائدها أبي الخطاب المعافري في مدينة تاورغة[94]، وعبد الله بن حيان الإباضي في أخر معقله بمدينة زويلة[95].

ليس من أهداف الدراسة التطرق لتفاصيل الصراع العباسي الإباضي، والذي نتج عنه سيطرة العباسيين على أهم مراكز وطرق التجارة مع بلاد السودان، لا سيما أثناء ولاية يزيد بن حاتم 155هـ–170هـ/771–787م، الذي وضعت –ولايته – حجر الأساس ونقطة الانطلاق في إنعاش حركة التجارة، وذلك نتيجة للاستقرار السياسي الذي شهدتها المنطقة، فضلا عن تشييد الأسواق والحمامات في أغلب المدن والمراكز التجارية، كمدينة زويلة مثلاً. وقد تجلى ذلك بوضوح في قيام دولة مستقلة في إفريقية على يد إبراهيم بن الأغلب عام 184هـ/800م[96]، حيث عرفت فترة حكمه ازدهاراً كبيراً في تجارة الرقيق بين القيروان وزويلة وبلاد السودان[97]، إنما السؤال الذي يطرح نفسه هو كيف تم الأمر؟.

بادي ذي بدء، تشير رواية للرقيق القيرواني أن إبراهيم بن الأغلب أخذ "في شراء العبيد، وأظهر أنه يريد أن يتخذ من كل صناعة صنعة تغنيه عن الرعية في كل شي من أمورهم، تم اشترى عبيداً لحمل سلاحه"[98].

وتأكيداً على ذلك، فقد اعتمد في تشكيل جيشه على العبيد المجلوبين من زويلة، والذين بلغ عددهم وفق ما استخلصه الثعالبي 80000 عبد[99]، كما أورد حسن حسني نقلاً عن المالكي أن عدد الحرس الخاص للأسرة الأغلبية من عبيد بلاد السودان إلى فترة الأمير إبراهيم بن أحمد(الثاني) يفوق عشرة آلاف عبد[100]، ويزيد النويري في رواية له على هذا الرقم

بقوله إن الأمير إبراهيم بن أحمد (الثاني) أمر في عام 278هـ/891م، بشراء العبيد السودان، فبلغت عدتهم مائة ألف عبد، فكساهم وألزمهم بابه[101]، فضلا عما سبق فإن البكري قدم نصاً يذكر أن أحد تجار كان لديه فوق ألف من العبيد[102].

إضافةً إلى ذلك، فالمتمعن جيداً في رواية ابن عذاري حول أحداث 280هـ/893م،تكشف لنا عن أمرين مهمين، الأول:سبب تمرد بعض المدن بإفريقية ضد الأمير إبراهيم بن أحمد، ثانياً:تبين كيفية حصول الأغالبة في بعض الأحيان على هؤلاء العبيد،وذلك "لأن السلطان إبراهيم بن أحمد أخذ عبيدهم وخيلهم وجار عليهم، فصارت إفريقية عليه ناراً موقدة...وجمع إلى نفسه ثقاته، وقرب السودان من قصره، وقد كان جمع منهم خمسة آلاف أسود"[103].

هذه الحادثة في واقع الأمر، تحيلنا إلى نقطة أو سؤال غاية في الأهمية، وهو ما الذي دعا الأمير إلى اتخاذ هذا الإجراء، والذي قام فيه بأخذ عبيد هذه المناطق، وحرم أهلها من خدماتهم وقربهم إليه؟،هل الأمر يتعلق بسلعة وشُح الرقيق الأسود؟، وإذا كان الأمر كذلك؛ فصاحب كتاب الذخائر والتحف يؤكد بعد سنتين من حادثة 280هـ/893م بأن الأمير نفسه، قد أهدى إلى الخليفة العباسي المعتضد بالله مائة خادم أسود[104]، كذلك أهدى الأمير زيادة الله الأغلبي إلى الخليفة العباسي المكتفي بالله عام291هـ/904م مائتي خادم أسود وأبيض[105].

بطبيعة الحال، هناك رأي يتفق عليه أغلب الباحثين والمؤرخين مفاده، أن أهم المدن الواقعة –بالمفهوم الحديث – جنوب طرابلس بما فيها المراكز التجارية كمدينة زويلة مثلاً، قد خرجت من يد الأغالبة، إلى دولة بني رستم، وبالتالي بسطت يدها في تسيير وحراسة القوافل التجارية، يأتي هذا متماشياً من جهة،مع رواية اليعقوبي الذي عاصر الدولتين التي جاء فيها أن "وراء ذلك بلد زويلة، مما يلي القبلة، وهم قوم مسلمون إباضية كلهم"[106]. ومن جهة أخرى وفق رأي جاك تيري:"أن تجارة الرقيق التي تمارسها زويلة، توضح لنا أسباب الأهمية التي يعلقها أمراء الساحل على أمن الطرق،وإصرارهم على تزويد القوافل بحراسات"[107].

إن مزاولة أهالي المدينة لتجارة الرقيق سواء أكانت إباضية المذهب أو غيره، فإن تجارتها كانت تحت دعم وحماية مباشرة من قبل دول الساحل المتعاقبة على حكم المدينة، وهذا يبدو واضحاً لنا من خلال الأرقام الكبيرة من الرقيق المتجهة نحو تلك الدول، وبالتالي تقلل من قيمة الرأي القائل بأن تجارة الرقيق خاصية اختص بها الخوارج، علاوة على هذا، لم تكن تجارة الرقيق مقتصرة على إباضية المدينة، كما نوهت بعض الدراسات الحديثة[108]، بقدر ما جذبت التجار من كل حدب وصوب.

بكل تأكيد، ليس من أهداف الدراسة تتبع تلك التفاصيل، ولكن الحاجة إلى توضيح فكرة استناد الأغالبة على الرقيق المجلوب من زويلة، والتي كان لها انعكاساتها وأثارها الواضحة في شهرة المدينة خلال تلك الفترة، هو ما يدفعنا لمناقشتها، فمن خلال إشارة واردة من أحد المصادر المطلع عليها، يتبين لنا أن السبب وراء تجنيدهم يرجع إلى مهارتهم القتالية، وما أبدوه من شجاعة وجلد وقوة[109]، فيما يرى بشير التليسي أن ذلك لا يعدو عن كونه تشبهاً بما فعله بنو العباس من إبعاد العرب وتقريب الموالي[110]، وأرجح الآراء قبولاً، هو رأي توفيق الذي يعتقد أن السبب يرجع إلى الرغبة في كسر شوكة العصبيات المنافسة لحماية مراكزهم[111]، بينما يرى الباحث أن السبب يعود إلى عدم ثقة الأغالبة في قبائل العرب والبربر بسبب مطامعهم في الإطاحة بحكم الأغالبة.

واللافت للانتباه أنه وبعد الإطاحة بدولة الأغالبة على يد العبيديين، قد اعتمدت هذه الأخيرة وبشكل كبير وواضح على جلب العبيد الزويليين، وأسندت لهم مهمات عسكرية كبيرة سواء في الحملات العسكرية على مصر بقيادة صندل الزويلي، أو بإشراكهم ودورهم المميز في التصدي للثورات المناهضة للحكم الفاطمي، إلا أن استخدام العبيد الزويليين في المهمات

المنزلية والعسكرية، كما يرى أحد الباحثين، يرجع تاريخه"إلى مستهل عهد المهدي الذي استخدم العبيد السود الذين كانوا في خدمة الأغالبة"[112]، وهو ما دفع البعض إلى القول بأنه "فهم المنسوبة إليهم زويلة المهدية، وباب وحارة في القاهرة"[113].

وتأكيداً على ذلك، فقد ذكر صاحب كتاب المؤنس أن "المعز لدين الله هو أخر الخلفاء العبيديين بالمغرب...وأسكن الجند بالقاهرة، واقتسموا منازلها، وسكنت كل طائفة بمكان معروف بها،فيقال حارة زويلة إلى يومنا هذا،ينسب إليها باب زويلة من أجل الزويليين سكنوا هناك"[114]، وهذا ما أكدته دراسة حديثة التي بينت أن للعبيد في مدينة الفسطاط والقاهرة خلال العصر الفاطمي، حارات خاصة بهم، ومن بينها حارة زويلة[115].

على الأرجح، أن السبب وراء تسمية الفاطميين تعود لأمرين، الأول: إلى دورهم الكبير في دعم وتبيث دعائم الدولة العبيدية الفاطمية في إفريقية ومصر، ثانياً: نظرة الفاطميين إلى المدينة باعتبارها باب أو سوق سيجلب الثراء للفاطميين، وذلك لوجود سلعتين مهمتين يزيد الطلب عليهما كل يوم هما الرقيق والذهب[116].

مما لا شك فيه، أن سيطرة الدولة العبيدية على معظم المراكز والمحطات التجارية المتخصصة بسلعتي الرقيق والذهب كمدينة سجلماسة* وزويلة، قد جعل من الأخيرة وفق رأي أحد الباحثين المصدر الأول للرقيق خلال العصر الفاطمي[117]، والذي مكن من هيمنتها–حسب علم الباحث– على تلك التجارة، وعلى إقليم فزان ككل، وبأن أخضعت أسرة بني الخطاب تحت سلطانها، فأصبحت رعاية وحماية القوافل التجارية، وعلى رأسها وأهمها سلعتان الذهب والرقيق جل اختصاص الأسرة، واهتمام الخلافة.

وبفضل هاتين السلعتين، نجح العبيديون بقيادة جوهر الصقلي في فتح بلاد مصر[118]، كما كشفت لنا من خلالها عن خلفية العلاقة بين الخلافة الفاطمية وأسرة بني الخطاب، الأمر إلي يدفعنا للقول بأن مؤسس المملكة عبد الله بن زنفل بن الخطاب قد كُلف منذ البدء والياً على المدينة من قبل العبيديين، ذلك أن جميع المؤشرات تجرنا إلى هذا الرأي،نشأتها ثم سقوطها الذي تزامن مع قيام وسقوط الدولة الفاطمية، والأكثر تعقيدا كما يقول بازامة"تزامن إقامة عبد الله بن الخطاب لزويلة التي بفزان، وإقامة عبد الله المهدي لزويلة المهدية "عام 306هـ/946م[119]، وتنظيم التجارة وعوائدها، علاوة إلى سك العملة في المدينة، وبالتالي جاز لنا تشبيهها بحال الدولة الصنهاجية، فهذه الأخيرة التي أهدى لها العبيديون حكم إفريقية والمغرب منذ عام 362هـ/973م، فانتقلت على إثرها تبعية أسرة بني الخطاب إلى أمراء بني زيري الصنهاجية، وهو ما تؤكده رواية ابن أبي دينار، حيث "بعث بلكين إلى العزيز بالله يطلب منه سرت وإجدابيا وطرابلس، وأن يضيفها إلى عمله، فأنعم عليه بها وبعث بلكين إليه عماله"[120]، كما نفهم ذلك من خلال الهدية المهداة للأمير منصور بن بلكين في ختان ابنه باديس من قبل ابن الخطاب عامله على زويلة[121].

بطبيعة الحال، أنه منذ تولي عبد الله بن الخطاب تسيير شؤون المدينة، عنى بتشييد المباني والأسواق والحمامات، كما نجح في توحيد مدن ومناطق الإقليم تحت سلطانه، مما حذا بالإدريسي أن ينسب بناها، وتأسيسها إلى عبد الله بن الخطاب الهواري[122].

وربما يُستشف من النص السالف الذكر،أن عبدالله بن الخطاب وفيلقه المكون من أبناء عمومته، قد أُستوفد إلى المدينة بأمر تعيين أو تكليف، ولما لا يكون هذا النص، تأكيد للتبعية الأسرة للخليفة الفاطمي آنذاك.

شهدت المدينة خلال حكم أسرة بني الخطاب، استقراراً سياسياً،وتطوراً عمرانياً، وتنوعاً اقتصادياً، مثلت التجارة العمود الفقري الذي ارتكز عليه اقتصاد المدينة، كما زاول أهلها الزراعة وبخاصة زراعة النخيل، وبعض الحبوب والذرة، التي لاقت دعماً من قبل ملوك بني الخطاب الذين استحدثوا الفقارات في الري، وقد استعملوا الرقيق في حفرها، ومارسوا الرعي[123]،

علاوة على ذلك، نشطت فيها بعض الحرف اليدوية والصناعات التقليدية المرتبطة بخدمة وحاجة القوافل التجارية، ولعل أهمها الجلود الزويلية،والثياب قصار الحمر، اللتان يتم مقايضتهما بسلعة الرق من بلاد السودان[124].

وفي هذا الصدد، كشفت بعض المصادر الجغرافية، كيفية حصول هؤلاء التجار على الرقيق، فقد أورد اليعقوبي الذي عاصر دولتي الأغالبة والرستميين عن أماكن جلب الرقيق، وخص قبيلة رواية لاحتكارها لتجارة الرقيق في المدينة، أما في زمن مملكة بني الخطاب،لم تكن تجارة الرقيق حكراً على قبيلة رواية بعينها، فقد ورد عند الشماخي في ترجمته لعبد الله بن محمد السراتي أنه سافر إلى بلاد السودان، ومعه حضري جعل تجارته عبيد[125]، وكان لليهود دور مهم في تجارة الرقيق، وبسبب كثرة الطلب على الرقيق من بلاد السودان، انتقلت وتعددت على إثرها طرق ووسائل جلب الرقيق من الهدايا والسبي، إلى الشراء والمقايضة بثياب قصار الحمر، وغيرها من البضائع الرائجة في بلاد السودان[126].

اشتهرت زويلة بتجارة الرقيق أكثر من شهرتها بالذهب أو الثياب قصار الحمر، "فمن عوائدها ازدهر اقتصادها، وعم الرخاء في أرجائها"[127]، والذي كان مرتبطاً ومتوقفاً بدرجة كبيرة مع مدى استتباب الأمن، ليس في المدينة وحسب، بل على طول حركة وسير القوافل التجارية، ومن بين الطرق المهمة الطريق الرابط بينها وبين القيروان بإفريقية[128].

هذه الأخيرة، التي عرفت في عهد الأمير المعز بن باديس انفصاله السياسي والمذهبي عن الخلافة الفاطمية بمصر عام 437هـ/1045م، وأعلن ولاءه للخلافة العباسية[129]، ونتيجة لهذا الانفصال عملت الخلافة الفاطمية للانتقام من المعز عن طريق السماح لقبائل بني هلال وغيرهم للزحف والقضاء على دولة بني زيري[130]، وتجهيزاً لهذا اشترى هذا الأخير العبيد، ووسع لهم في العطاء فبلغ عددهم ثلاثون ألف عبد[131]، إنما ليس من هدف الدراسة الخوض في هذه التفاصيل، وأفضل في المقابل التركيز على آثار الاضطرابات التي اجتاحت كامل المنطقة بعد ذلك، وكان لها الأثر السلبي حيث أضرت بالنشاط الاقتصادي لاسيّما حركة التبادل التجاري بين الشمال والجنوب، بسبب اختلال الأمن الذي يؤدي بطبيعة الحال إلى الإضرار بالنشاط الاقتصادي الذي يمثل الشريان الحيوي لدولة بني الخطاب[132].

على أية حال، تحول الصراع فيما بعد إلى هجرات استيطانية أكلت الأخضر واليابس وفق وصف بعض المصادر[133]، كانت من بين أهم الأسباب التي أنهكت وعجلت بسقوط دولة بني الخطاب، ويتضح ذلك جلياً بالحملة التي قادها قراقوش الأرمني، فكانت القشة التي قصمت ظهر البعير،وكشفت عن مدى ضعف دولة بني الخطاب، التي فقدت المدينة بسقوطها مكانتها السياسية، بفعل تحول الطريق التجاري– بعد ذلك– إلى مدينة تراغن على يد دولة كانم، ومن تم مرزق في عهد دولة أولاد إمحمد، اللتان كانت فيهما سلعة الرقيق من أهم المصادر الذي اعتمدت عليها دولتانِ[134].

ومما يؤكد أهمية تجارة الرقيق في اقتصاد ورخاء إقليم فزان، ما ذكره عبد القادر جامي أثناء تعليله لفقدان فزان ازدهارها وعمرانها، فبين أن من أهم الأسباب التي عجلت بالقضاء على اقتصاد فزان ورخائها خلال العهد العثماني، والذي اعتبره سبب رئيسي هو ركود أسواق فزان نتيجة منع تجارة الرقيق[135].

هذه التجارة التي خصت بها بعض مدن إقليم فزان، ولعل أهمها مدينة زويلة خلال العصر الوسيط، وكان لها آثارها السياسية والاقتصادية والاجتماعية على واقع المدينة.

الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتجارة الرقيق على واقع المدينة:

مرة أخرى، نجد بعد التمعن في روايات كل من اليعقوبي والبكري والاصطخري وصاحب كتاب الاستبصار وغيرهم، نستطيع أن نستشف مدى أهمية المدينة ومصالحها المرتبطة والمقترنة ببلاد السودان، وكأنها حالها يقول أو يفهم، أن لا أهمية مرجوة للمدينة بدون بلاد السودان وبضائعه، وكأن اقتصاد المدينة أو الدولة في تصورهم قائم على تجارة الرقيق، في

المقابل وُفقت بعض الدراسات الحديثة في توظيفها لتلك النصوص، مبرزة دور وأهمية المدينة في كونها جسر عبور،وحلقة وصل في تبادل السلع التجارية بين بلاد السودان ومدن ودول الساحل(136).

هذه المدينة التي وصفت بجسر العبور، قد لاقت اهتماماً كبيراً ومتزايداً منذ أن وطئت أقدام المسلمين البلاد، فما أن تبثوا أقدامهم، حتى أضحت المدينة حاضرة الإقليم وقاعدة لانطلاق لنشر دين الإسلام نحو بلدان ما وراء الصحراء، وقد فطن القادة والتجار المسلمين منذ البدء للدور الكبير الذي سوف تقوم به المدينة في العلاقات التجارية مع بلاد السودان، تُرجم ذلك وبشكل سريع في إحياء التجارة، وجلب بعض السلع وعلى رأسها سلعة الرقيق عبر حلقة الوصل (زويلة)إلى دول العالم الإسلامي، هذه السلعة هي الكلمة المفتاحية الأكثر ذكراً في العلاقات بين بلاد السودان وقاعدة الإقليم زويلة عند كتب الرحالة والجغرافيين العرب(137).

من أجل ذلك، سوف نتحسس أثر هذه السلعة على واقع المدينة، وممالا شك فيه أن للتجارة بشكل عام وسلعة الرقيق بشكل خاص، قد خلقت استقراراً سياسياً،وانتعاشاً اقتصادياً، وواقعاً اجتماعياً جديداً مختلف خلال فترة قيد الدراسة.

الآثار السياسية والاقتصادية لتجارة الرقيق:

إن الاهتمام المتزايد لدول العالم الإسلامي بسلعة الرقيق في مختلف الأنشطة الاقتصادية والعسكرية، تجلى بوضوح في كتابات بعض المؤرخين العرب كالجاحظ والأصفهاني وابن بطلان الذين خصصت أقلامهم أبواب وفصول للحديث عن أهمية هذه السلعة، وقد ظهر كذلك واضحاً في تنافس الدول حول بسط سيطرتها، وتحكمها في المراكز والمحطات التجارية الموصلة إلى بلاد السودان –والجميع في ظن الباحث بما فيها أهل المدينة –كان يحرص كل الحرص على استقرارها، واستتاب الأمن فيها، وليس أدل على ذلك، الطريقة التي أثارت تعجب البكري والقزويني في احتراس أهالي زويلة لمدينتهم وتجارتهم من الصوص،وفرار العبيد والجواري(138).

في واقع الحال، وقد لا نغالي إذا قلنا إن الأطوار أو المراحل التي مرت بها المدينة منذ النشأة إلى قيام دولة بني الخطاب، كان ممزوجة ومرتبطة ارتباطاً متيناً بعلاقاتها وتبادلتها التجارية بالسلع المستوردة من بلاد السودان، وعلى رأسها الرقيق والذهب، وإذا ما أُعتبر الرقيق والذهب أهم سلعتين،يزيد الطلب عليهما كل يوم،عبر بوابة بلاد السودان زويلة، باعتبارهما مصدر أساسي من مصادر اقتصاد المدينة(139)، فكيف يكون شكل واقتصاد المدينة بدونهما؟.

بكل تأكيد، يعزو استقرار وتطور الأوضاع السياسية في المدينة إلى منفعة دول الساحل من هذا التبادل التجاري،عبر بوابة بلاد السودان، ومما يدعم هذا المقترح، صمت المصادر التاريخية المطلع عليها عن ذكر أي تمرد أو ثورة حدثت داخل الإقليم طيلة فترة قيد الدراسة، مقارنة بالثورات المناهضة الذي عرفتها باقي الأقاليم والولايات، بما فيها إقليمي برقة وطرابلس خلال تلك الفترة قيد الدراسة(140).

بطبيعة الحال، فإنه وبفضل الاستقرار السياسي التي شهدته المدينة، انتعشت تجارة الرقيق، الذي باتت مصدر قوة وثروة اقتصاد المدينة، حيث "ازدهر اقتصادها وعم الرخاء في أرجائها"(141)، وفي ذات السياق يؤكد جاك تيري نقلاً عن البكري، أن حالة الثراء التي كانت عليها المدينة كانت بسب تجارة الرقيق باعتبارها مورد أساسي لها(142)، ويؤكد في موضع أخر، أن ثراء دولة بني الخطاب يأتي أساساً من تجارة الرقيق، وذلك لقربها من مصادر الرقيق،وبعدها عن مصادر الذهب(143).

إن رواج هذه التجارة، قد أوجد –بدون شك– نشاطاً كبيراً في اقتصاد المدينة، فإلى جانب فوائدهم التجارية كبضاعة، فإنهم كانوا يُستخدمون في بعض المهن والحرف والأعمال الشاقة تقريباً وبشكل كبير ولافت، لاسيّما بعد فترة الاضطرابات التي سادت البلاد عقب الهجرات العربية، وما ترتب عنها من توقف التجارة بين فزان وبلدان الساحل(144)، فاتجهت دولة بني الخطاب –على ما يبدو– نحو الاهتمام والعناية بالزراعة،لما تميزت به المدينة من عذوبة الماء وخصوبة التربة(145)،

وذلك منذ أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، فاستخدمت العبيد وبشكل واضح في الأعمال الشاقة كحفر واستحداث القنوات المتعلقة بالفقارات، والتي مازالت أثارها باقية إلى وقتنا الحاضر[146].

من غير المؤكد، سعي أو تمسك دولة بني الخطاب بسياسة أو ظاهرة تجنيد الرقيق، على غرار الدول التي سبقت الإشارة إليها، مما يسهم في تقلل من هذا الرأي، ما تصوره لنا المصادر المطلع عليها عن هشاشة الدولة وسقوطها على يد القائد الأيوبي قراقوش الأرمني[147]، كما ذهب بنا التخمين،إذ لم يكن لدولة بني الخطاب جيش منظم على شاكلة الدول الأخرى.

مما لا شك فيه، أن أثر تجارة الرقيق التي ازدهرت على مدى قرون في المدينة على واقع الحياة السياسية والاقتصادية للمدينة، يتجاوز حدود ما تمت الإشارة إليه، وربما نلمسه ونتحسسه بوضوح أكثر، عند الوقوف على أثر تجارة الرق على الواقع الاجتماعي للمدينة خلال فترة قيد الدراسة.

الآثار الاجتماعية لتجارة الرقيق:

من الطبيعي أن تكون الأحوال الاجتماعية متأثرة إلى حد كبير بالأحوال السياسية والاقتصادية للدولة، ومن المؤكد أيضاً أن للاستقرار السياسي والنشاط التجاري بالغ الأثر على التركيبة الاجتماعية للمدينة، وتحديداً أن تركز نشاطها على تجارة الرقيق[148].

وفي هذا الصدد، يرى بعض الباحثين أن تجارة الرقيق في المدينة، قد جذبت أناساً من أصول مختلفة من خراسان والبصرة والكوفة[149]، وربما استسقى معلومته تلك من رواية لليعقوبي عند حديثه عن سكان المدينة حيث ذكر أن "بها أخلاط من أهل خراسان والبصرة والكوفة"[150]، كما جذبت هذه التجارة وفق رأي أحد الباحثين اهتمام اليهود، فاستوطنوا المدن المصدرة للرقيق على امتداد الرقعة الجغرافية للمغرب[151].

لقد شكل الرقيق المجلوب من بلاد السودان شريحة كبيرة ومهمة من شرائح المجتمع الزويلي، فهم اليد العاملة التي أقيمت على أكتافهم بناء القلعة والأسوار والمنازل[152]، وهذا ما جعل الحموي يقول عنها "أن الغالب على ألوان أهلها السواد"[153].

هذا التغير الذي طرأ على التركيبة السكانية في المدينة، صاحبه على ما نعتقد، تغير على الجانب الديني، وهو التحول من مذهب الإباضية إلى المذهب المالكي، ويرجع ذلك من وجهة نظري إلى أن تجار الرقيق والرقيق أنفسهم، لم يكن لهم تعصباً وانتماء لذلك المذهب خلافا لقبائل البربر.

إن الحضور العددي الكبير للرقيق، قد ترك الكثير من الآثار على الحياة الاجتماعية على المدينة،وفي شتي المجالات، مثل العادات والتقاليد والفن والغناء والرقص، وقد أشار أحد الباحثين،إلى أن من بين أشهر الرقصات التي عُرفت في المدينة، رقصة تعتبر نتاج لتجارة الرقيق، هي رقصة (الصندا) المنتشرة منذ القدم في زويلة وعموم فزان، وقد اقتصرت طقوسها على العنصر الزنجي[154].

وبطبيعة الحال, كانت لتجارة الرقيق آثار سلبية على المدينة وعموم فزان، وذلك من خلال تفشي العديد من الأمراض والأوبئة، التي لم تكن معروفة إلا في أوساط العبيد،وفق ما جاء في كتب الرحالة المحدثين خلال العصر الحديث[155].

الخاتمة:

لقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، يمكن إجمالها في النقاط التالية:

1- أثبتت الدراسة أن موقع الجغرافي لمدينة زويلة، ولقربها من بلاد السودان، أكسبها أهمية سياسية اقتصادية وتحديداً تجارية، مثلت حلقة الوصل في تسيير حركة التبادل التجاري بين دول الساحل مع بلاد السودان.

2 –بينت الدراسة أن سلعة الرق هي من أهم السلع الرائجة والرابحة التي أخذت فيها المدينة دور المصدر إلى دور الساحل، وحققت من خلالها أرباحاً كبيرة أنعشت اقتصاد المدينة، كما جذبت لها التجار من كل حدب وصوب.

3–خلصت الدراسة إلى أن تجارة الرقيق كانت لها تأثيراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية على المدينة.وقد خلقت استقراراً سياسياً،وانتعاشاً اقتصادياً، وواقعاً اجتماعياً جديداً مختلف على واقع المدينة والإقليم معاً .

التوصيات.

1–إقامة أو تأسيس مراكز متخصصة في مجال علم الآثار، وذلك لما تزخر به المدينة ومدن فزان أيضاً من مواقع ومعالم أثرية ومقابر مجهولة في تأريخها ،ما زالت بحاجة للبحث والتنقيب عنها بطرق علمية رصينة.

هوامش البحث:

1– البكري، أبو عبيد، المسالك والممالك، تح: أدريان ليوفن وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1992م، ج2،ص658.

2–المجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر العربية ،دار البيضاء، 1985م، ص146.

3 –الزاوي،الطاهر أحمد، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المدر الإسلامي، بيروت، ط4 ،2004م، ص95.

4 – احويلات، فاطمة علي أحمد، "مدينة زويلة منذ الفتح حتى سقوط دولة بني الخطاب"، مجلة الأصالة، العدد7 ،2023م، ص350.

5 – الباحث.

6* ولد في مدينة قادس، وتحصل على شرف الجنسية الرومانية بعد هذه الحملة، أيوب، محمد سليمان، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، دار المصراتي، طرابلس –ليبيا، ط1 ،1969م، ص43.

6 – أيوب، المرجع السابق، ص41.

7– خشيم، علي فهمي، نصوص ليبية، دار مكتبة الفكر، طرابلس –ليبيا، ط2، 1975م، ص109.

8 –بعيو، مصطفى عبد الله، دراسات في التأريخ اللوبي، مطابع عابدين، الإسكندرية،1953م، ص176.

9 – الباحث.

10 –أيوب، المرجع السابق، ص227.

11 –دانيلز،تشارلز،الجرمنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء،تعريب: أحمد اليازوري،دار الفرجاني،طرابلس–ليبيا، ط 2، 1991م، ص38–39.

* تنسب إلى هوارين أو ريغ بن برنس جد البرانس،وكان موطنهم زمن الفتح حول طرابلس إلى ما يقارب سرت، الزاوي،المرجع السابق،ص26.

** مزاته هي إحدى قبائل البربرالبتر،قطنت في مدن وواحات إقليم فزان. ابن حوقل، أبو القاسم، صورة الأرض،منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت، 1992م،ص102–103.

*** تُعد من أكبر وأشهر بطون البربر البتر، وتقطن في إقليم برقة، الزاوي،المرجع السابق،ص26–27.

12– ابن حوقل ،المصدر السابق ،ص102–103. ابن خلدون، عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،مراجعة: سهيل زكار،دار الفكر،بيروت،2000م، ج 6، ص188.

13 –اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق، البلدان، دار الكتب العلمية،بيروت، ط 1، 2002م،ص184.

14– البلاذري، أبو الحسن، فتوح البلدان،دار الكتب العلمية،بيروت، 1991م،ص226.

15– المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، التنبيه والأشراف،مطبعة بريل،مدينة ليدن المحروسة، 1893م،ص90، القلقشندي، أبو العباس أحمد،نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب،تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب،بيروت، ط 2، 1980م، ص ص276–277.

16 –هورنمان، فريدريك،الرحلة من القاهرة إلى مرزق عامة فزان 1797م،تر: مصطفى محمد خوجة،مكتبة الفرجاني،طرابلس –ليبيا، 1968م،ص78.

17 –علي، عبد الصمد عبد القادر عبد الصمد،مدينة زويلة خلال العصر الوسيط،أطروحة دكتوراه غير منشورة،جامعة الحسن الثاني المحمدية،ص، 7، قائد، أبوبكر محمد أبوبكر،تاريخ إقليم فزان من 22هـ إلى 939هـ،دار ابن كثير، ط1، 2020م،ص54.

18–البلاذري ،المصدر السابق،ص226.

19 – أيوب،المرجع السابق،ص227.

20 –قائد،المرجع السابق،ص54.

* تقع مدينة شربة في أقصى الجنوب الغربي من فزان، وتعد من المدن العتيقة،وتدل البقايا الأثرية للمدينة على أنها كانت مزدهرة، للاستزادة ينظر، قائد،المرجع السابق،ص499.

21– أيوب،المرجع السابق،ص211.

22–ابن عبد الحكم،فتوح مصر والمغرب،تح: علي محمد عمر،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة، 2004م،ص198.

23– تيري، جاك، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى،تح: جاد الله عزوز الطلحي،الدار الجماهيرية،مصراتة، ط 1، 2004م،ص140.

24 –البلاذري،المصدر السابق، ص226.

* معبد بن العباس بن عبد المطلب (أبو العباس الهاشمي)استشهد بإفريقية في غزوة عبد الله بن أبي السرح في خلافة عثمان بن عفان، البلاذري، المصدر السابق،ص230، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام ووفياتالأعيان المشاهير والأعلام،تح: عمر عبد السلام تدمري،دار الكتاب العربي،بيروت، ط 2، 1991م، ج3، ص356.

** أبو ذؤيب الهذلي،خويلد بن خالد المشهور،أدرك الجاهلية وأسلم في عهد الخليفة أبي بكر الصديق، وتوفي غازياً بإفريقية في خلافة عثمان، البلاذري،المصدر السابق،ص228، الذهبي،المصدر السابق،ج3، ص ص358–359.

25 –عبد الصمد،المرجع السابق، ص ص316–317.

*** المعز لدين الله هو أخر الخلفاء العبيدين بالمغرب،وأول الخلفاء منهم بمصر، دخلها عام 362هـ/ 973م، ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم القيرواني، المؤنس في أخبار افريقية وتونس،دار المسيرة،بيروت، ط 3، 1993م،ص83.

26 –ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ،تح: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية،بيروت،1987م، مج 2، ص483.

27–البكري،المصدر السابق،ج2،ص660.

28 –البلاذري،المصدر السابق، ص ص228–230، المالكي، أبو بكر عبدالله محمد، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية، تح: بشير البكوش،دار الغرب الإسلامي،بيروت، ط 2، 1994م، مج1، ص84.

29 – النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب،تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية،بيروت،مج24، ص 40.

* هو أرمني من الغز، ومن مماليك الملك المظفر تقي الدين بن أيوب أخي صلاح الدين،فتح مدينة زويلة، وأزال دولة بني الخطاب،وخطب فيها لصلاح الدين الأيوبي،الزاوي،المرجع السابق، ص ص245–246.

30 –ابن خلدون،المصدر السابق،مج 6،ص255.

31 –ابن الأثير،المصدر السابق،مج3،ص320.

32 –الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد،تاريخ الإسلام ووفيات الأعيان المشاهير والأعلام،تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي،بيروت، ط 1، 1991م، ج 9، ص105.

* هو أحد العشرة التابعين،من أهل الفضل والدين،روى عن جماعة من الصحابة،منهم عبد الله بن عباس وعمرو بن العاص،سكن القيروان،وانتفع به أهلها، وتوفي سنة 125هـ/ 743م، المالكي،المصدر السابق،ج1، ص ص111–112.

33–القيرواني، الرقيق،تاريخ إفريقية والمغرب،تح: زينهم محمد عزب،دار الفرجاني، ط 4، 1994م،ص23.

** سلامة أو سلمة بن سعيد،أول من جاء يطلب مذهب الإباضية ونحى بقيروان إفريقية قادماً من البصرة، الشماخي، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، كتاب السير ،تح: أحمد بن سعود، ط 2، 1992م، ج 1، ص113.

34– الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب،تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث،الجزائر، ج 1، ص156.

35 –النويري،المصدر السابق،مج24،ص40، قائد، المرجع السابق،ص87.

36 –القيرواني،المصدر السابق، ص ص31–32.

37 –ابن الأثير،المصدر السابق،مج5،ص392.

38 –النويري،المصدر السابق،مج24،ص58.

39 –الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف،مصر،ط2، 1966م، ج 8، ص428.

40– الإدريسي، محمد بن عبد الله بن إدريس، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة، ط 1، 2002م، مج 1، ص ص312–313.

41 –ابن خلدون،المصدر السابق،مج6،ص255.

42 –ابن أبي دينار،المصدر السابق، ص ص97–99.

43 –البكري،المصدر السابق،ص657، المجهول،المصدر السابق،ص146.

44 –اليعقوبي،المصدر السابق،ص183.

45 –البكري،المصدر السابق،ج2، ص ص657–658.

46 –المجهول،المصدر السابق،ص146.

47 –بكير، بحاز إبراهيم،الدولة الرستمية،المطبعة العربية،الجزائر، ط 2، 1993م،ص16.

48-اليعقوبي،المصدر السابق،ص184.

49 - بازامة،محمد مصطفى، صفحات من تاريخ فزان،الهيئة العامة للثقافة، ط 1، 2018م،ص71.

50 -البكري،المصدر السابق،ص657.

51 -لومبارد،موريس، الإسلام في مجده الأول من القرن 2هـ إلى القرن 5 هـ،تر: إسماعيل العربي،منشورات دار الأفاق الجديدة،المغرب،1990م،ص174.

52-ابن خلف، سيف بن شاهين، "تاريخ تجارة الرقيق في منطقة الخليج العربي خلال القرنيين الثالث والرابع الهجريين،حوليات آداب عين شمس،2013م، مج 41، ص ص254-255.

53 -ابن عامر، توفيق،المسلمون وتجارة الرقيق خلال القرنيين الثالث والرابع للهجرة، أطروحة دكتوراه،(د-ت)،ص26.

54 -الزدام، نجلاء عبدالله،الجرمنت وعلاقاتهم السياسية والتجارية مع المدن الساحلية،جامعة المرقب، 2009م، ص ص109-110.

55-سالم، محمد إمحمد، "الليبيون القدماء ودورهم في تجارة الصحراء،مجلة البحوث التاريخية، 2009م، العدد 2، ص180.

56 -دانيلز،المرجع السابق، ص ص32-33.

57 -اليعقوبي،المصدر السابق،ص183.

58-ابن الحكم،المصدر السابق،ص 222.

59 النويري،المصدر السابق،مج24،ص11.

60 -جاك تيري،المرجع السابق،ص462.

61 -اليعقوبي،المصدر السابق،ص183، البكري،المصدر السابق،ج2ص658.

62- ابن حوقل،المصدر السابق،ص102-103.المجهول،المصدرالسابق،ص146.

63-البلاذري،المصدر السابق،ص226.

64 -قائد،المرجع السابق، ص ص58-59.

65-ابن عبد الحكم،المصدر السابق،ص222.

66-ابن عبد الحكم،المصدر السابق، ص ص222-223.

67 المصدر نفسه،ص222.

68 - المصدر نفسه، نفس الصفحة.

69-عبدالحميد، سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي من الفتح الى بداية عصر الاستقلال،منشأة المصارف،الإسكندرية، 1993م، ج1، ص180.

70 -شرف الدين، لمياء محمد، "تجارة طرابلس مع بلاد ما وراء الصحراء في العصر الوسيط"،مجلة البحوث التاريخية، مركز الجهاد الليبيين للدارسات التاريخية،العدد 2،2001م ص152.

71 -شعيب، وليد، تجارة الرقيق عبر الصحراء ايالة طرابلس الغرب خلال القرن التاسع عشر،دار الوليد،طرابلس، ط 1، 2021م،ص27.

72 -سعد زغلول،المرجع السابق،ج1،ص180.

73 –البلاذري،المصدر السابق،ص226.

74 –ابن عبد الحكم،المصدر السابق،ص223.

75 –جاك تيري،المرجع السابق،ص568.

76 –اليعقوبي،المصدر السابق،ص 183. البكري،المصدر السابق،ج2،ص657.

77 –أيوب،المرجع السابق،ص211.

78 –ابن الأثير،المصدر السابق، مج3، ص320.

79 – شكري، صفاء "أسواق العبيد في العصر الفاطمي"، مجلة كلية الآداب،جامعة سوهاج، 2020م،العدد57، ج1، ص182.

* أبو محجن مولى عبد العزيز بن مروان، شاعر مشهور،مدح الخليفة عبد الملك بن مروان،وكان من فحول الشعراء، الأصفهاني، أبو فرج علي بن الحسين الأصفهاني،الأغاني،تح: إحسان عباس وآخرون،دار صادر،بيروت، ط3، 2008م، مج1، ص ص214–215.

80 – محمد، أم العز عبد القادر، "الحياة الاقتصادية في إقليم فزان منذ الفتح العربي حتى نهاية السادس الهجري، فكر وإبداع،ص362.

81 –الأصفهاني،المصدر السابق،مج1، ص ص214–215.

82 –اليعقوبي،المصدر السابق،ص183.

83 –ابن الأثير،المصدر السابق،مج 3،ص320.

84 – القيرواني،المصدر السابق،ص10.

85 –القاضي ابن الزبير، الرشيد، الذخائر والتحف،مكتبة مروان عطية،الكوي ت، 1959م،ص15.

86– النويري،المصدر السابق،مج24،ص35.

87 – توفيق بن عامر،المرجع السابق،ص164.

88–أبوغرارة، محمد امحمد،أهل الذمة خلال العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة،الأكاديمية الليبية، 2011م،ص73.

89– أبوغرارة، المرجع السابق، ص ص72–73.

90 –سيف بن شاهين،المرجع السابق، ص256.

91 –ابن الأثير،المصدر السابق،مج 6،ص206.

92 – ابن أبي دينار،المصدر السابق، ص ص81–83. الجوذري، أبو علي العزيزي،سيرة الأستاذ جوذر،تح: محمد كامل، دار الفكر العربي،مصر، (د–ت)، ص ص 116–117، الدشراوي، فرحات،الخلافة الفاطمية في المغرب،تر: حمادي الساحلي،دار الغرب الإسلامي،بيروت، ط 1، 1994م، ص ص554–555.

93 –المجهول،المصدر السابق،ص146.

94 – الرقيق القيرواني،المصدر السابق،ص9.

95 – قائد،المرجع السابق،ص87.

96 – ابن أبي دينار،المصدر السابق،ص63.

97 –اليعقوبي،المصدر السابق،ص183.

98 – الرقيق،المصدر السابق،ص134.

99 –الثعالبي،عبد العزيز، تاريخ شمال أفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية سقوط الدولة الأغلبية،تح: أحمد بن ميلاد وآخرون،دار الغرب الإسلامي،بيروت، ط 2، 1990م،ص210.

100 – حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية،ج2،مكتبة المنارة،تونس،ط1966،1م.

101– النويري،المصدر السابق،ج24،ص71.

102 – البكري،المصدر السابق،ج2،ص863.

103 –ابن عذاري، أحمد بن محمد، البيان المغرب في اختصار أخبار وملوك الأندلس والمغرب،تح: بشير عواد وآخرون، دار الغرب الإسلامي،تونس، ط 1، 2013م، مج 1، ص167.

104 – القاضي رشيد بن الزبير،المصدر السابق،ص47.

105– المصدر نفسه،ص44.

106 – اليعقوبي،المصدر السابق،ص183.

107 – جاك تيري،المرجع السابق،ص252

108–بحاز،المرجع السابق،ص227.

109– النويري،المصدر السابق،ج24،ص 70،الونشري،المرجع السابق،ص546.

110–التليسي، بشير رمضان، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري،دار المدار الإسلامي،بيروت، ط 1، 2002م،ص38.

111 – توفيق بن عامر،المرجع السابق، ص1078.

112 –الونشري،المرجع السابق، ص ص545–546.

113 – عبد الصمد،المرجع السابق،ص169.

114– ابن أبي دينار،المصدر السابق،ص83.

115 –صفاء شكري،المرجع السابق، ص182.

116 –اليعقوبي،المصدر السابق،ص 183.

* مدينة في جنوب المغربفي طرف بلاد السودان،وأهلها من أغنى الناس وأكثرهم مالاً،لأنها على طريق غانة التي هي معدن الذهب، القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، أثار العباد وأخبار العباد، دار صادر،بيروت،ص42.

117 عبد الصمد،المرجع السابق،ص170.

118 –لومبارد، موريس،الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى،تر: عبد الرحمن حميدة،دار الفكر،دمشق، ط 1، 1998م،ص88.

119 –بازامة،المرجع السابق،ص63.

120 –ابن أبي دينار،المصدر السابق،ص97.

121 المصدر نفسه،ص99.

122- الإدريسي،المصدر السابق،ص 312.

123 - عبد الصمد،المرجع السابق،ص190.

124 -اليعقوبي،المصدر السابق،ص183. البكري،المصدر السابق،ص658.

125 - الشماخي،المصدر السابق،ج2، ص156.

126 -البكري، المصدر السابق،ص658.

127 - عبد الصمد،المرجع السابق،ص170.

128 -المجهول،المصدر السابق،ص146.

129-ابن عذاري ،المصدر السابق،ص306.

130 -النويري،المصدر السابق،ج24، ص ص116-117.

131 -المصدر نفسه، ج24ص118.

132 -الإدريسي،المصدر السابق،ص313.

133 - الإدريسي، المصدر السابق،ص313.

134- عبد القادر جامي، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى، تر: محمد الأسطى،دار النهضة،طرابلس، ط 1، 1974م،ص120.

135 - المرجع السابق،ص94.

136 -أم العز،المرجع السابق،ص359.

137 -اليعقوبي،المصدر السابق ص183، المجهول،المصدر السابق،ص146.

138 -البكري، المصدر السابق،ص658، القزويني،المصدر السابق،ص94.

139 -تيري،المرجع السابق، ص ص258، 468.

140 -ابن الأثير،المصدر السابق،مج6، ص ص132، 255-256.

141- عبد الصمد،المرجع السابق،ص 170.

142 -جاك تيري،المرجع السابق،ص259.

143 -المرجع نفسه،ص656.

144 - الإدريسي،المصدر السابق،ص313.

145- البكري،المصدر السابق،ص657.

146 -عبد الصمد،المرجع السابق،ص190.

147 -ابن الأثير، المصدر السابق،مج10،ص47.

148 -المجهول،المصدر السابق،ص146.

149 -أم العز،المرجع السابق،ص363.

150 - اليعقوبي، المصدر السابق،ص183.

151 - قائد، المرجع السابق، ص346.

152 -عبد الصمد،المرجع السابق، ص219.

153 –المرجع نفسه، نفس الصفحة.

154–الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت، معجم البلدان،دار صادر،بيروت،1977م، مج 4، ص260، عبد الصمد،المرجع السابق، ص252.

155 –عبد الكبير، صالح عثمان، " تجارة الرقيق وأثرها على المجتمع الليبي"، مجلة السائل العلمية،2023م، العدد 34،ص49.